المقتطف

الجزء الثاني من السنة الحادية والعشرين

١ فبراير (شباط) سنة ١٨٩٧ الموافق ٢٩ شعبان سنة ١٣١٣

هيرودوتس ابو التاريخ

تمهيد

لم نكد نشرع في نشر المقتطف حتى ظهرت الاجزاء الاولى من "آثار الادهار" "ودائرة المعارف" فقلنا لقد كفانا هذان الكتابان النفيسان مؤونة البحث والتنقيب في المواضيع التاريخيَّة والجغرافية ونشر ما تمسُّ الحاجة الى معرفته منها واقتصرنا على المواضيع العلميَّة والفلسفيَّة ولا سيما ما كان منها على ارتقاء دائم واتساع مستمر كالعلوم الطبيعيَّة والمباحث النفسيَّة ولم نتعرَّض للمواضيع التاريخيَّة والجغرافية الاَّ نادرًا

غير ان الكتابين وقتا قبل الانجاز نقطع الامل من اتمام الاول منذ عشر سنوات ومن اتمام الثاني منذ سنة من الزمان فرأينا ان نتلافى ما فاتنا ونذكر ما لا بدَّ من معرفته من المواضيع التاريخيَّة والجغرافيَّة كترجمات مشاهير القدماء وامَّهات الحوادث التاريخيَّة ونحو ذلك مما تكثر الاشارة اليه في صفحات المقتطف وسائر الصحف السيَّارة

واول مَن نذكرهُ من مشاهير القدماء هيرودوتس الملقَّب بابي التاريخ لانهُ اول مَن كتب تاريخًا مسهبًا منسقًا وحقَّق حوادثهُ كما يليق بالمؤرخ الصادق . ولا يخلو تاريخهُ من كثير من الاقوال المرجوحة والمنقولات الموهومة ولكنهُ اصحُّ ما وضعهُ المتقدمون ووصل الينا من تواريخهم . وهو كبير لو ترجمناهُ الى العربيَّة وعلَّقنا عليهِ شرحًا وافيًا لملأ مجلدين كبيرين مثل مجلدات المقتطف

وقد بحث كثيرون من مشاهير الكتَّاب الاوربيين عن ترجمة هيرودوتس وجمعوا كل ما ذكرهُ الاقدمون عنهُ وفحَّصوهُ تمحيصًا . ومَن عانى كتابة الترجمات وجمع موادها وتحقيقها

يعلم انهُ يتعذَّر على المرء ان يكتب ترجمة رجل من ابناء عصره لكيف والرجل عاش ومات قبل عصرنا باكثر من الفي عام . الاَّ ان ما اثبتهُ هؤلاء المشاهير مؤيد بادلة كثيرة وعليهِ اعتمادنا في هذا الملخَّص

مولد هيرودوتس

يظهر من بعض الحوادث الَّتي ذكرها ومن وصفهِ للذين رأوها مرأى العين ومما ذكرهُ بعض المؤرخين الاقدمين عنهُ انهُ ولد نحو سنة ٤٨٤ قبل المسيح اي منذ ٢٣٨٠ سنة او قبل ان ملكَ ملكٌ من العرب على اليمن بنحو مئة سنة . وسقط رأسهِ مدينة هليكرناسوس وكانت من عواصم بر الاناطول (اسيا الصغرى) وقد حاصرها الاسكندر المكدوني بعد ذلك وحرقها وعلى خرائبها بلد صغير الآن يقال لهُ بدرون

وكان ابناء اليونانيين في عصرهِ يتعلمون القراءة والكتابة والالعاب الرياضيَّة . ويزيد ابناء كبرائهم على ذلك علم البيان والعروض وحفظ اشعار هوميروس والقواعد الفلسفيَّة المعروفة في ايامهم . ويظهر من كتاب هيرودوتس انهُ تفقه في كل العلوم المعروفة في عصرهِ واستظهر اشعار هوميروس كلها وعرف مغازيها واطَّلع على ما كتبهُ غيرهُ باللغة اليونانيَّة نثرًا ونظمًا . ولا يتسنَّى ذلك لامرء الاَّ بعد الدرس الطويل والعناء الشديد ولا سيما في ذلك العصر مع ما فيهِ من المشقة في صنع القراطيس وانتخ الكتب

اسفارهُ

ومن المحقق انهُ رحل رحلات كثيرة الى الاقطار الشاسعة لكي يحقق بالخبر ما سمعهُ بالخبر فوصل الى بابل و بلغ اقاصي مصر ودخل بلاد الصقالبة ووصل الى قرطاجنة فطول البلدان الَّتي ساحها من اقصى بلاد فارس شرقًا الى بلاد تونس غربًا ١٧٠٠ ميل ومن بلاد الروس شمالاً الى اقصى الديار المصريَّة جنوبًا ١٦٦٠ ميلاً . واقام في اكثر المدائن الشهيرة ووصفها وصفًا مدققًا وذكر خلاصة تاريخها فلما جاء القطر المصري مثلاً لم يكتفِ بالذهاب من الاسكندرية الى اسوان ومشاهدة الآثار القديمة في شهر بن الزمان كما يفعل السيَّاح في هذا العصر بل اقام في البلاد شهورًا وسنين وزار كل العواصم الكبيرة حينئذٍ كطيبة ومنف وعين شمس وشاهد بنائيها واثارها وحادث كهنتها ووقف على اخبارهم وزار المدن الصغيرة ايضًا وتنقَّد كل ما في مشاهدتهِ فائدة كبحيرة الفيوم واللغز الذي فيها والترعة الموصلة بين النيل وخليج العرب وسائر فروع النيل الَّتي تصب في بحر الروم وكل حدود مصر شرقًا وغربًا وشمالاً وجنوبًا . وقس على ذلك اسيا الصغرى فانهُ زار كل عواصمها ووصف اخلاق اهلها

وكل البلاد الشرقية إلى مدينة السوس في بلاد فارس. وقس على ذلك بلاد اليونان والجزائر القريبة منها كقبرص ورودس وكريت

والظاهر من بعد الشقة في رحلاته انهُ شرع فيها وهو غضُّ الشباب شديد النشاط حتى اذا اكتهل انقطع عن السياحة وخلد الى السكينة وجعل همهُ جمع تاريخهِ وتبييضهُ. وهناك ادلة واهنة على انهُ جاء القطر المصري وهو شاب بين الرابعة والعشرين والثامنة والعشرين من عمرهِ حين كان الايبنيون يظاهرون المصريين على كسر نير الفرس ولذلك رحَّب بهِ المصريون على خلاف عادتهم حينئذٍ واباحوا لهُ دخول هياكلهم. ثم زار مدينة صور على اثر ذلك وسار منها الى بلاد الصقالبة

تاليف تاريخهِ

وظلَّ مقيمًا في مدينة هليكرناسوس مسقط رأسهِ يذهب منها في رحلاتهِ ويعود اليها للراحة والتأليف إلى ان بلغ السابعة والثلاثين من عمرهِ فانتقل الى بلاد اليونان وسكن في اثينا وكانت بلادهُ قد انضمَّت الى الاتحاد الايثيني فرحَّب بهِ اهل اثينا واحلُّوهُ على الرحب والسعة وسمعوا اخبارهُ واجازوهُ عليها بعشر وزنات (اكثر من الفين واربع مئة جنيه)، وان صحَّ ذلك فهو مرُّ ما امتاز بهِ اليونانيون من الرغبة في العلم والفلسفة لان الامَّة التي تجيز علماءها بمثل ذلك تخلق العلماء من صخور الارض

ويقال ان هيرودوتس طاف في مدن كثيرة من مدن اليونان يتلو عليهم تاريخهُ ويقصُّ ما شاهدهُ من الغرائب في رحلاتهِ. وقد ذكر ذلك خصومهُ لتحقير شأنهِ ولكننا لا نرى فيهِ شيئًا من التحقير ما دامت رغبة القوم مصروفة الى ذلك وليس عندهم مطابع تطبع الكتاب وتنشرهُ. ويقال ايضًا انهُ نزل مرةً ان يتلو تاريخهُ في احد المواسم الاولمبية وانتظر يومًا تكثر فيهِ الغيوم حتى تستظلَّ الجموع بظلها فمضت ايام الموسم ولم يتمكن من تلاوتهِ. فقالوا مثل ذلك هيرودوتس وذهب ذلك مثلاً. وهذا القول من الاقوال المنقولة التي لا دليل على صحتها ولا سيما لان تاريخهُ شديد الوطأة والانتقاد فلا ترضي تلاوتهُ كثيرين من اليونانيين ولذلك لا يحتمل انهُ سعى في تلاوتهِ على مسامعهم

وفي تلك الاثناء تعرَّف بالشاعر صوفوقليس وهو في اوج مجدهِ فنظم صوفوقليس قصيدةً في مدحهِ وهذا دليل على ان هيرودوتس دخل حينئذٍ بين مشاهير اثينا الذين يستحقون ان يمدحهم اشعر شعرائها ومن هؤلاء المشاهير بركليس السياسي واسباسيا الفتَّانة وانتيفون الخطيب وداءون الموسيقي وفيدياس النحَّات وزينو واضع علم المنطق وغيرهم من نوابغ اليونان.

ولا بدَّ من ان اتصاله بهم هذَّب ذوقهُ العلمي واراهُ النقص في كتابهِ فدأب على تنقيحهِ وتمحيصهِ. وقضى في ذلك عشرين سنة متوالية

ذهابهُ الى ايطاليا

الَّا ان اقامتهُ في اثينا لم يكن ليكسبهُ الوطنيَّة اليونانيَّة في ذلك الحين. وقد قال ارسطو "ان الرجل ليس رجلاً بلا وطن" ولا بعد ان يكون ذلك قد شقَّ على هيرودوتس وحبَّب اليهِ البعد عن اثينا رغبةً عمَّا رآهُ فيها من الجواذب الكثيرة. ثم ان المعيشة في تلك المدينة وبين اولئك العظماء كانت تقتضي نفقة كثيرة وهو ليس على ثروة طائلة كما يستدلُّ من قبولهِ الجائزة الماليَّة المشار اليها آنفاً. ولعلهُ انفق ثروتهُ كلها في رحلاتهِ الكثيرة فذهب مع الذين بعث بهم بركليس إلى ايطاليا لانشاء مستعمرة فيها وذلك سنة ٤٤٣ قبل المسيح اي حينما ناهز الاربعين من عمرهِ وذهب معهُ هبوداموس المهندس الفيلسوف وليسياس الخطيب وبوليمرخس صديق سقراط. ورسم هبوداموس مدينة ثوريوم في ايطاليا وجعلها شوارع متقاطعة على زوايا قائمة فسُمِّي هذا النوع من البناء باسمهِ. واقام اليونانيون في المدينة وانقسموا عشرة اسباط. ثم زارها امبيدقليس الفيلسوف واقام فيها حتى وفاتهِ ولذلك لم يكن هيرودوتس وحدهُ فيها بل كان معهُ نفر من نخبة رجال عصرهِ. وقد رجَّح كثيرون من الكتَّاب المتقدمين والمتأخرين انهُ ألَّف تاريخهُ واشهرهُ وهو في تلك المدينة. ولكن المحققين على انهُ ألَّفهُ ونشرهُ وهو في هليكرناسوس واثينا ثم اضاف اليهِ اضافات كثيرة ونقحهُ في ثوريوم لان الفقرات التي كتبها بعد وصولهِ الى ايطاليا يمكن حذفها منهُ من غير اخلال في معناهُ. ولعل هذهِ الاضافات تبلغ نصف التاريخ كلهِ. وألَّف وهو هناك كتاباً كبيراً في تاريخ اشور ولكنهُ لم يصل الينا

وفاتهُ

ولم تتمتع مدينة ثوريوم بالراحة والسكينة بل نشبت فيها الحروب واشتدَّت الخصومات بين اليونانيين الذين مصَّروها وسكان البلاد الاصليين والمرجح انهُ مات قبل ولا يُعلَم بالتحقيق في اي سنة مات ولا المكان الذي مات فيهِ فقد قال بعضهم انهُ عاش ٧٧ سنة وقال غيرهم انهُ عاش اكثر من تسعين سنة وقيل انهُ مات في مدينة بلاَّ بمكدونية. وقيل انهُ مات في اثينا وقيل في ثوريوم بنفسها ولكن لا دليل في ما كتبهُ على انهُ عاش اكثر من ستين سنة. ويرجَّح الآن انهُ توفي في ثوريوم وهو في الستين من عمرهِ. وكان بها قبرهُ وعليهِ اسمهُ واسم المدينة التي ولد فيها وقد ذكرهُ كثيرون من المؤرخين

ولم يذكر هو ولا غيرهُ من الكتَّاب حالة معيشتهِ البيتيَّة ويستنتج من ذلك انهُ عاش ومات عزبًا ولعلهُ شُغل بالسياحة عن الزواج وهو شاب فلم يعد يلتفت اليهِ وهو كهل وشيخ. وبقي حتى وافتهُ المنية ينقح تاريخهُ ويضيف اليهِ ما يبلغهُ خبرهُ من الحوادث والنوادر وقد وعد باستيفاء الكلام على بعض المواضيع ثم مات قبل ان ينجز وعدهُ ولذلك تجد في تاريخهِ عيوبًا من هذا القبيل ولو فسح لهُ في الاجل لازالها منهُ وتركهُ بالغًا غاية الكمال والتهذيب

وصف تاريخهِ

من المحقق ان هيرودوتس عانى الاسفار الشاقة والرحلات الطويلة لكي يستعين بها على تأليف تاريخهِ وتحقيق حوادثهِ ولذلك تراهُ مشحونًا بالفوائد التاريخيَّة والجغرافية واخبار الامم الدينيَّة واوصافهم المعاشية. وقد بدأهُ بتغلب كروسس (قارون) ملك ليديا على مستعمرات اليونان في اسيا الصغرى فاستطرد إلى ذكر ملوك ليديا ووصف بلادهم ثم ان الفرس تغلبوا على الليديين فاستطرد الى تاريخ مملكة الفُرس وتغلُّب قورش على بابل وكمبيس على مصر وداريوس على بلاد الصقالبة وساح في هذه البلدان كلها ووقف على اخبارها لكي يصفها عن علم ورويَّة ولذلك يحقُّ لهُ ان يكنى بابي الجغرافيا كما كُني بابي التاريخ. ولم يقتصر على سرد الحوادث ووصف البلاد وصفًا جغرافيًّا بل وصف اخلاق اهلها وازيائهم وعوائدهم ومعتقداتهم ووصف ما في البلاد ايضًا من حيوان ونبات

ومن غريب الاتفاق اننا ونحن نكتب هذه السطور وردت علينا مقالة باللغة الانكليزية للدكتور دوكر كتبها لنشرها في جمعيَّة فكتوريا الفلسفيَّة موضوعها ان هيرودوتس كان عالمًا بالنبات وذكر فيها النباتات المصرية التي وصفها هيرودوتس وهي الخروع والنيلوفر والقمح والشعير والذرة والبردي والقنط وقال ان وصفهُ لها ينطبق على وصفها الحقيقي ولا سيما النيلوفر الذي منهُ نوع هندي فيهِ بزور تؤكل وقد انقرض من القطر المصري الآن. والبردي الذي لا ينبت الكبير منهُ الآن في ترع النيل كما كان ينبت حينئذٍ (وقد رأيناهُ مزروعًا في حديقة البيت الذي كان لبرغش بك بالعباسيَّة)

ولم يكتب هيرودوتس تاريخهُ محققًا متفلسفًا كما يكتب علماء التاريخ كتبهم الآن ولكنهُ لم يكتب فيهِ الاَّ ما حسبهُ صحيحًا. وقد فرق بين ما شاهدهُ بعينهِ وما نقلهُ عن الغير ولذلك كلهِ كرَّت السنون والقرون ولم يزل لهُ ولتاريخهِ المقام الاول بين المؤرخين وكتب التاريخ